من شجو الربيع

أغانى غرام

[إلى .....]

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

أنينُ الليلِ يُشجِينِي وَنَوْحُ الرِّيحِ يُبْكِينِي
هُنَاكَ صَدًى يُنَادِينِي وَرُوحٌ رَفَّ يَدْعُونِي
أأنتِ هُنَا ... ؟ أجيبِينِي !

جَمَالُكِ ذَلِكَ الفَاتِكْ إِلٰهٌ شَعَّ مِنْ ذَاتِكْ
خُذِينِي بَيْنَ رَاحَاتِكْ وَطِيرِي فِى سَمَاوَاتِكْ
وَأَفْنِينِي ، وَأَحْيِينِي !

وَسِحْرُكِ يَسْرِقُ الآجَالْ وَلَوْ يَسْكُنْ طَيْفَ خَيَالْ
شَرِبْتُ بِكَأْسِهِ الفَتَّالْ شَقَاءَ العُمْرِ وَالأَهْوَالْ
وَأَوْهَامَ المَجَانِينِ !

عَبَدْتُكِ فِتْنَةً كُبْرَى عَشِقْتُكِ كَرْمَةً سُكْرَى
رَأَيْتُكِ هَالَةً حَيْرَى سَمِعْتُكِ نَغْمَةً حَرَّى
تَهِيجُ دَمِى ، وَتَكْوِينِي !

سَعِيرُ دَمِى بِكَفَّيْكِ تَضَرَّعَ وَالِهًا يَبْكِى
وَجَاءَ لِنُورِ عَيْنَيْكِ يُذِيبُ مَرَارَةَ الشَّكِّ
أَذِيبِيهَا ... أَذِيبِينِي !

أَنَا الأَشْوَاقُ فِى جَسَدِكْ أَنَا النِّيرَانُ فِى كَبِدِكْ
أَنَا المَاضِى حَرِيقُ يَدِكْ أَنَا الآتِى رَحِيقُ غَدِكْ
وَجُودِكِ سِرُّ تَكْوِينِى . .

دَعِى أَيَّامَنَا تَجْرِى بِمَا تَهْوَى مِنَ الأَمْرِ
فَإِنَّ الدَّهْرَ لا يَدْرِى غَرَامَ النَّارِ بِالجَمْرِ
فَكَيْفَ بِمَا تُذِيقِينِي ؟!

دَعِينِى طَيْرَ جَنَّاتِكْ أُسَبِّحُ فِى خَمِيلَاتِكْ
وَأَسْبَحُ فِى صَبَابَاتِكْ هَوًى يَجْرِى بِآهَاتِكْ
وَيَفْنَى فِى الرِّيَاحِينِ !

عَلَى شَفَتَيْكِ أَنْهَارٌ مُحَرَّمَةٌ ، وَأَسْتَارٌ
وَفِى عَيْنَيْكِ أَسْرَارٌ وَإِبْرِيقٌ ، وَخَمَّارُ
فَمَا لَكِ لَا تُرَوِّينِى ؟!

لِمَنْ إِلَّا لِقِيثَارِكْ يُوَسْوِسُ مَوْجُ أَنْهَارِكْ ؟
أَنَا الظَّامِى لِأَنْوَارِكْ أَنَا البَاكِى لِأَزْهَارِكْ
فَلَيْتَ شَذَاكَ يَطْوِينِى !

عَشِقْتُكِ ... وَالهَوَى غَلَّابْ نَشِيداً فِى دَمِى يَنْسَابْ
فَصَوْتُكِ كَانَ هَمْسَ رَبَابْ وَكَانَ خَفِيفَ خَمْرٍ ذَابْ
عَلَى كَبِدِى لِيُشْجِينِى !

وَكُنْتِ كَزَنْبَقِ الأَسْحَارْ شَذَاهُ يُحَيِّرُ الأَسْرَارْ
إِذَا نَاشَدْتُكِ الأَشْعَارْ ضَلَلْتُ ، وَضَلَّتِ الأَوْتَارْ
بِأَىِّ صَدًى تُنَاجِينِى !

وَكُنْتِ كَآيَةٍ عُلْيَا شُغِلْتُ بِهَا عَنِ الدُّنْيَا
تُطِلُّ بِنُورِهَا وَحْيًا وَتَنْشُرُ سِحْرَهَا رُؤْيَا
عَنِ الأَهْوَالِ تُلْهِينِى !

وَكُنْتِ صَلَاةَ أَحْزَانِى وَكُنْتِ مَتَابَ عِصْيَانِى
وَكُنْتِ رَبِيعَ أَكْوَانِى إِذَا مَا الدَّهْرُ أَظْمَانِى
يُعَانِدُهُ ، وَيَسْقِينِى !

وَكُنْتِ الشَّجْوَ وَالأَحْلَامْ وَكُنْتِ الدَّمْعَ وَالأَسْقَامْ
وَكُنْتِ مَتَاهَةَ الأَوْهَامْ وَكُنْتِ مَضَلَّةَ الأَيَّامْ
تُحَيِّرُنِى وَتَهْدِينِى !

وَكُنْتِ الخَمْرَ وَالأَقْدَاحْ وَكُنْتِ اللَّيْلَ وَالإِصْبَاحْ
وَكُنْتِ الصَّمْتَ وَالإِفْصَاحْ وَكُنْتِ عَلَى يَدَىَّ جِرَاحْ
أُقَلِّبُهَا فَتُدْمِينِى !